مكتبة

السلطة في المجتمع الاشتراكي

رسالة
دكتوراه في الحقوق
مقدمة من: صبحي عبده سعيد

رسالة

لجنة الحكم على الرسالة وكلاء من السادة :

الاستاذ الدكتور ثروت بدوي	رئيساً
الاستاذ الدكتور طعيمة الجرف "المشرف"	عضواً
الاستاذ الدكتور محمد عصفور	عضواً

إهداء

إلى زوجتي ...
التي وقفت بجانبي تشجعني وتشد من أزري
أهدي إليك ثمرة جهدك ؟

١٩٨٠

7VE/C

مقدمة

لابد لأى مجتمع يريد الاستمرار والبقاء من أن تكون له قوة دافعة تجعل له كيانا سياسيا ، وهذه القوة هى السلطة السياسية (١) ، وعلى ذلك فهناك تلازم بين السلطة وكل جماعة سياسية .

وعلينا قبل أن نلقى الضوء على أسس بناء السلطة فى المجتمع الاشتراكى أن نقرر أن شكل السلطة وطرق بنيانها وأهدافها هو دائما تعبير عن المواقف الاجتماعية (٢).

فالسلطة فى علاقتها بالفرد هى دائما مشكلة سياسية ، وبالقدر الذى يتحدد به الفصل بين سلطان الدولة وارادة الفرد تتحدد أسس بناء السلطة : أى يتحدد نوعها وأدواتها ومجالاتها ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقرر أن بناء السلطة فى أى مجتمع لابد أن يثير تساؤلات أو قضايا ثلاثة أساسية :

فالقضية الأولى هى : لمن تكون السلطة والسيادة فى المجتمع ؟ ان المتتبع للنظريات السياسية يمكن أن يميز فى هذا الشأن بين اتجاهات أساسية ثلاثة (٣) : اتجاه عقلى فردى ، اتجاه عقلى جماعى ، اتجاه دينى .

والقضية الثانية هى : فى خدمة من تكون السلطة فى المجتمع ؟

(I) Burdeau (G.): Traité de science politique, 2 éme éd., L.G.D.I., Paris, T.I, I966.

(٢) روبرت ماكيفر ـ تكوين الدولة . بيروت ١٩٦٦ . ص ٢٤٠.

(3) Direction Rationnelle Individuelle, D.R. Collective, D.Religieuse.

المتتبع للنظريات والتطبيقات السياسية يمكن أن يميز بين
ئفتين أساسيتين لمجالات السلطة وأهدافها : تتحد الأولى فى
حافظة على النظام السياسى والاقتصادىوالاجتماعى القائم ،
صونه من أية محاولة لتغييره ، وهنا تكون أمام سلطة
حافظة ، وتستهدف السلطة الثانية أهدافا مستقبلية اذ تحاول
ن تغير ماهو قائم لتصنع ما يجب أن يكون، وعلى ذلك تكون
سلطة مديرة ، تؤمن بأن المجتمع البشرى تحكمه قوانين
سيطرة أو ظروف ملحة تحتم عليه التطور والتقدم .

والقضية الثالثة هى : كيف تمارس السلطة ؟ ومامجالاتها
وما أهدافها ؟ فاذا سلمنا بأن شكل السلطة وطرق بنيانهما
هى دائما تعبير عن المواقف الاجتماعية ، فلابد أن ينعكس
ذلك على طريقة ممارستها ، ذلك أن الممارسة أثر تابع
لقدرات السلطة وسلطانها فىأن تكون سلطة محافظة أو مديرة .

وتحتاج السلطة فى المجتمع الاشتراكى الى اجابات واضحة
عن هذه التساؤلات الثلاثة . وعلينا قبل الخوض فى الاجابة عن
هذه التساؤلات أن نعرض فىايجاز التطور الهيكلى للرأسمالية
باعتباره نظاما كشفت تجربته عن عديد من المساوئ التى
كانت سببا مباشرا فى ظهور المذاهب الاجتماعية والاشتراكية ،
وعلى ذلك كان علينا أن نتحرى مولدها الفكرى وفى عجالة .

التطور الهيكلى للرأسمالية ومولد الفكر الاشتراكى :

لقد كان للتطور الصناعى الذىأحرزته دول أوربا الغربية
خلال القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر آثارا
عميقة فى واقعها الاقتصادى والاجتماعى، فقد خلقت الثورة
الصناعية التى انطلقت أول ما انطلقت من انجلترا عواملمادية
ومعنوية هيأت لقلب الهياكل الاقتصادية والاجتماعية فى غرب

أوروبا . ذلك أن الثورة الصناعية بوصفها ثورة فكر علمى قد أثرت فى معطيات الانتاج الأساسية . فقلبتها هى وعلاقات الانتاج القائمة آنذاك ، وتمثلت أبرز مظاهر هذا الانقلاب فى ظهور خلل خطير فى البنيان الاجتماعى يدور حول انعدام المساواة المتزايد بين من يملكون ومن لا يملكون .

غير أن الملكية هذه المرة لم تكن تنصب على الاقطاع الزراعى، لكنها انصرفت أساسا الى ملكية وسائل الانتاج الصناعى وكان نشوءها وليد تقدم فنون الانتاج ورقى وسائل النقل ، وكشف ثروات ووسائل جديدة ... مما ترتب عليه تضخم فى أرباح رجال الصناعة والتجارة ونمو فى حجم رءوس الأموال المستثمرة . وقد صاحب هذا الاتجاه بروز فئتين جديدتين متعارضتين فى البناء الاجتماعى :

الأولى : فئة أرباب الأعمال من الرأسماليين والتجار ورجال الصناعة ممن حققوا أرباحا هائلة فى الأنشطة التجارية والصناعية .

الثانية : فئة العمال التى تبيع عملها لقاء أجر .

وقد ظلت الهوة بين هاتين الفئتين تزداد اتساعا وعمقا منذ قيام الثورة الصناعية الى أن بلغت أبعد مدى لها فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . وفى غضون هذه الفترة كانت الأحوال الاقتصادية والاجتماعية لاعداد العمال المتزايدة بسبب الزحف الصناعى فى تدهور وانحطاط ، بينما كانت رءوس الأموال تتضخم فى المشروعات الصناعية بصورة كبيرة ، ولم يكن هناك تدخل من جانب السلطة الرأسمالية يوقف هذا التناقض أو يخفف من حدته ، ذلك أن السلطة الرأسمالية كانت بمعزل عن الحياة الاقتصادية ، ولم يكن لها أن تتدخل لتعيد التوازن المفقود ، وكان هذا الموقف من جانب السلطة الرأسمالية راجعا للأسباب التالية :

١- سيادة المذهب الاقتصادى الحر وسيطرته على مفاهيم الساسة ورجال الدولة فى ذلك الحين .

٢- حداثة عهد الدولة بالحياة الصناعية وخشيتها من أن يؤدى تدخلها الى عرقلة التقدم الصناعى .

٣- عدم ظهور ردود فعل سياسية وشعبية كافية يمكن أن تشكل ضغطا على الحكومات القائمة آنذاك وتحملها على التدخل لصالح العمال .

ولهذه الأسباب الرئيسية . أحجمت الدولة الرأسمالية عن كل تدخل فى الحقل الاقتصادى والاجتماعى يخفف من هذه الفوارق الطبقية المتزايدة ، وهكذا ظلت الطبقة العاملة طوال هذه الفترة - وحتى بعد صياغة النظرية الماركسية ذاتها - بلا قوانين تحمى مصالحها وبلا اجراءات تنظم شئونها ، فلم تكن هناك قوانين تحرم عمل الأطفال والنساء مدة طويلة مرهقة ، وتكفل للعامل حقا على رب العمل فى راحة أسبوعية باجر أو تأمينا اجتماعيا يسعفه فى حالة المرض أو العجز أو الشيخوخة . ومن ناحية أخرى لم يكن للعمال حق تكوين نقابات أو هيئات تتولى الدفاع عن مصالحهم فى مواجهة أرباب العمل، ولم يكن لهم فى النشاط السياسى حظ يذكر اذ لم تكن لديهم تجمعات سياسية أو حزبية ، لذلك لم يكن تأثيرهم فى الحياة السياسية ملموسا .

وفى خضم هذه الظروف الاقتصادية والاجتماعية انطلقت آراء فكرية جديدة تدور حول الاشتراكية ، والواقع أن الفكر الاشتراكى له جذوره البعيدة فى التاريخ (١) لأن الصراع بين من يملكون كل قدرة ويتحكمون فى المقدرات ومن لا يملكون أى قدرة

---

(١) الدكتور ابراهيم دسوقى والدكتور عبد العزيز الغنام ، تاريخ الفكر السياسى ، دار النجاح ، بيروت ١٩٧٣ ص ٢٩٢ .
الدكتور أحمد جامع . المذاهب الاشتراكية . طبعة ثانية. دار المعارف ١٩٦٩ ص ٢٠ .

أجل التحرر الاقتصادى والاجتماعى أن يتغير النظر الى هذه المبادىء على ضوء المنظور الاجتماعى والاقتصادى الجديد حتى يمكن اعطاؤها معنى جديدا يتفق والواقع القائم .

وقد حمل لواء الدعوة الى هذه الاشتراكيات رواد ومفكرون عديدون ينتمون الى ميول شتى واتجاهات مختلفة . والواقع أن آراءهم ونظرياتهم لا يصل بينها سوى رابط ضئيل حول بعض المبادىء الأساسية المشتركة ، وأكثرهم يعلنون عداءهم للنظام الرأسمالى ودعامته الأساسية - الملكية الفردية - ويدعون الى ازالتها واستبدالها بنظام آخر هو نظام الملكية الجماعية .

غير أن هؤلاء المفكرين والرواد يختلفون فيما بينهم فى الأساليب التى يمكن استخدامها لتحقيق مثل هذا التغير فى صفات الملكية الجديدة ومآل النظام الجديد .

ولما كان البحث لا يتسع للخوض فى دراسة الاشتراكيات غير المعاصرة [١] كالاشتراكية المسيحية (الكاثوليكية والبروتستنتية) التى حاولت ايجاد حل للمشاكل الاجتماعية من خلال الديانة المسيحية ، وكالاشتراكية المثالية وأهم روادها (سان سيمون ، فورييه ، اوين ، بلان ، برودون) فلسوف نكتفى فى بحثنا بابراز أهم التيارات الفكرية للاشتراكية المعاصرة .

الاشتراكية المعاصرة :

تتمثل أهم التيارات الفكرية الاشتراكية فى تيار الاشتراكية العلمية وتيار الاشتراكية الديمقراطية .

---

(١) الدكتور ابراهيم دسوقى وآخر - المصدر السابق من ٢٩٤-٣٠٣ .

الدكتور أحمد جامع - المصدر السابق ص ٤٨ وما بعدها .

ويخضعون لمقدرات الأهواء صراع أزلى ، غير أن الأفكار الاشتراكية كانت متناثرة ومشتتة وكأنها تنتظر ظروف مولدها فى أحداث القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حتى تصاغ فى قوالب علمية ونظرية تعكس روح العصر ومتطلباته (١).

وعلى الرغم من وجود خلافات تضيق أو تتسع بين رواد المذاهب الاشتراكية ،فانه يمكن القول بأن هذا الفكر الاشتراكى يدور حول محور رئيسى ، قطباه العمال وأرباب الأعمال وما بينهما من أنظمة وقواعد ومفاهيم ، وقد بدأ الاهتمام الاشتراكى عند الاشتراكيين ينصرف الى الدعوة بالتدخل لانقاذ العمال والارتفاع بمستواهم ، ومن هنا انطلقت الهجمات على العقيدة الاقتصادية السائدة (آنذاك) التى تمثلت فى المذهب الفردى الحر ،وما أدى اليه من اهدار التوازن الاجتماعى والاقتصادى داخل المجتمع وعدم وجود اتساق طبعىّ بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة .

ولما كانت الفردية الاقتصادية تقوم أساسا على قاعدة الملكية الخاصة لوسائل الانتاج والمنفعة الشخصية لكونها مولدا للنشاط الانتاجى ونظام المنافسة الحرة بين المنتجين دون ماتدخل من الدولة فى تحديد عناصر هذه المنافسة ،فقد تعرضت كل هذه القواعد والمفاهيم للنقد الشديد من جانب حملة الدعوة الاشتراكية وأصبحوا يعتقدون أن الحرية والمساواة واعلان حقوق الانسان وكل ما جاءت به الثورات والدساتير من قيم ومبادىء لم تعد تحمل المعانى البراقة التى كانت لها من قبل حينما خاضت الشعوب معاركها السياسية من أجل التحرر السياسى، وكان ضروريا ازاء ما تفرخه المجتمعات السياسية الجديدة من صراع من

---

(١) راجع فى شأن الظروف المهيئة لقيام الفكر الاشتراكى . مؤلف البروفسير " مارشال" .

Marchal (A.) : Systemes et Structures Economiques P.U.F,,Paris, I969.

المشكلة السياسية .

وقد أظهر الفكر والتطبيق عديدا من المحاولات سعيا وراء حلها ، وهذا الخلاف فى الحلول هو سر الصراعات الراهنة بين المذاهب السياسية ، كما أن فكرة السلطة السياسية تثير من جانب آخر بعض المشكلات تتعلق بها : ذلك أن اختلاف النظر حول مفهوم السلطة يؤدى حتما الى اختلاف النظر نحو أساس شرعيتها ، كما أن فلسفة السلطة السياسية والاجتماعية أمر يختلف ما بين سلطة وأخرى، وهذا يؤدى بالضرورة الى أن يكون سند السلطة وشكلها امرا متغيرا مع تغير هذه الفلسفة ، فضلا عن اختلاف نوع الممارسة — لكل ذلك ، ولأن هذا هو طابع السلطة فى كل زمان ومكان ، فان الأمر يصبح لازما ان نهتم ببحث هذا الطابع العام — (لكل سلطة أيا كان شكلها) بحثا تمهيديا نكشف فيه عن السلطة السياسية وما تثيره من مشكلات ، وبذلك نحقق مدخلنا الطبيعى حين نتعرض لموضوع دراستنا بالبحث .

الباب التمهيدى

السلطة وما تثيره من مشكلات

كما سبق أن أوضحنا نستطيع أن نقرر مايلى :

أولا : أن السلطة السياسية فى حياة المجتمعات هى دائما محور المشكلة السياسية ، وهذه المشكلة تثير داخل كل مجتمع سؤالين :

الأول : كيف يمكن للعلاقة التى تجمع أطراف الرابطة السياسية أن تصل الى نقطة التوازن بين ارادة الفرد وارادة الجماعة أى بين الحرية والسلطة ؟

الثانى : لمن تكون السلطة فى الجماعة ؟

ثانيا : واذا كانت السلطة السياسية هى محور المشكلة السياسية ، فان هناك أيضا من المشكلات التى تثيرها فكرة السلطة السياسية وتتعلق بها ، ويمكن تحديد هذه المشكلة فى نقطتين أساسيتين :

الأولى : أن اختلاف النظر حول مفهوم السلطة يؤدى حتما الى اختلاف النظر حول أساس شرعيتها .

الثانية : أن اختلاف سند السلطة وشكلها وطريقة ممارستها أمر متغير بتغير الفلسفة السائدة .

وتأسيسا على ذلك نجعل الباب التمهيدى مبحثين : نتعرض فى أولهما للسلطة باعتبارها محور المشكلة السياسية ، وفى ثانيهما للمشكلات التى تثيرها فكرة السلطة السياسية وتتعلق بها .

أما الاشتراكية العلمية ، فهى التعبير الذى استعمله الشيوعيون للدلالة على المرحلة الدنيا فى المجتمع الشيوعى وهى تستمد أصولها من كتابات كارل ماركس فى القرن التاسع عشر ، وخلاصتها أن الاشتراكية مرحلة حتمية من مراحل التاريخ تخلف الرأسمالية وتسلم الى الشيوعية ، تعتبر الصراع الطبقى أساس تطور التاريخ، وتدعو طبقة البروليتاريا الى الثورة الدموية قصدا الى تصفية الطبقات الأخرى والغاء الملكية الفردية لأدوات الانتاج لأن الملكية الخاصة هى سبب هذا الصراع ،كما تنتهى الاشتراكية العلمية الى المناداة بالغاء الدولة لزوال سبب وجودها وهو الصراع الطبقى، اذ أن المجتمع فى مرحلته العليا سيصبح مجتمعا لا طبقيا لا سيطرة فيه ولا دولة ولا ديانة ولا قومية ولا منازعات ويسود شعار من كل بحسب قدرته ولكل حسب حاجته .

أما التيار الثانى فقد سمى الاشتراكية الاصلاحية لأنه يدعو الى اصلاح المجتمع القائم ومواكبة تطوره ونموه بوسائل سلمية، كما سمى هذا التيار ايضا الاشتراكية الانسانية لأنه لا يغفل قيمة الانسان ومتطلباته ، وسمى فى أوائل القرن العشرين الاشتراكية الديمقراطية ، لأنه يجمع فى كيان عضوى واحد بين العدالة الاجتماعية والحرية السياسية .

ومجمل القول أن هذا التيار يستهدف اصلاح المجتمع وتخليصه مما يشوبه من مظالم اجتماعية وتحويله الى مجتمع اشتراكى عن طريق وسائل الديمقراطية ومؤسساتها . فالنظام الاشتراكى هنا لا يأتى نتيجة حتمية للتفسير المادى للتاريخ ، وليس وليد القوانين التى قيل انها تحكم تطور التاريخ ، بل هو نتيجة تطور فكرى واستجابة لمتطلبات التطور والنمو ، لهذا فان الاشتراكية الديمقراطية تنادى باستبقاء الملكية خاصة فى نطاق ما تؤديه من وظيفة اجتماعية ، وبما لا يسمح بالاستغلال، وترفض مبدأ الصراع الطبقى والثورة الدموية واقامة

مجتمع البروليتاريا وحكم الطبقة ، وتطالب بتدخل الدولة لتحقيق الاصلاح بالوسائل الديمقراطية بما يحقق التضامن والتكافل بين جميع فئات الشعب وبما يحفظ لهم وحدتهم وسلامتهم وهكذا يظل الفرد له قيمته بجانب قيمة الجماعة ، وتبقى له مصالحه بجانب مصالح المجتمع فيتحقق التوازن .

والجدير بالبيان أن الاشتراكية الاصلاحية وان كانت أسبق فى الظهور من الاشتراكية العلمية ، فانه بعد ظهور هذه الأخيرة أصابها الوهن ، غير أنها عادت الى الازدهار من جديد نتيجة لما أسفر عنه التطبيق العملى للماركسية من مساوىء ، اذ ثبت أن الانسان الفرد فى ظل هذا التطبيق قد سلب أعز ما يملك وهو حرية الفكر ، فضلا عما كشف عنه هذا التطبيق أيضا من اغلاط فى أساسيات ما نادت به الماركسية كشفت عنها المراجعات المذهبية داخل المذهب الشيوعى نفسه (١)

وأيا ما كان الأمر فان هذين التيارين : تيار الاشتراكية العلمية وتيار الاشتراكية الديمقراطية قد ظهرا فى الفكر والتطبيق ليجعلا من السلطة السياسية المعاصرة فى غالبية الدول سلطة اشتراكية تقضى على مساوىء النظام الرأسمالى وسلبياته .

وهكذا تصبح مادة دراستنا للسلطة فى المجتمع الاشتراكى ذات أهمية ، باعتبار أن أكثر المجتمعات الحديثة وهى تنتقل أو ترتقى نحو مجتمع آخر متطور أو جديد تستهدف تحقيق الاشتراكية .

الا أن السلطة أيا كانت ، وفى أى مجتمع هى دائما محور

---

(١) لمزيد من التفصيل راجع :
الدكتور ابراهيم دسوقى وآخر ـ المصدر السابق ٣٢٦ وما بعدها .
الدكتور اسكندر غطاس ـ المصدر السابق ص ٢٣٥ وبعدها .

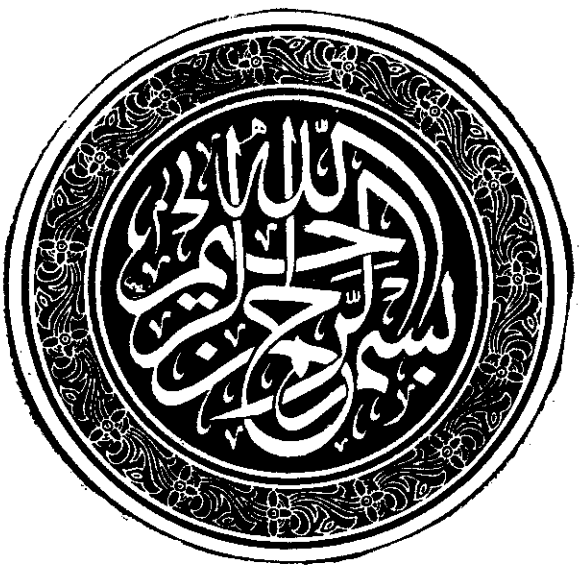

"سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم."

يارب ما يخفى من قولنا فضلك وما يعرف فيه عن
الجاه فمن نقص البشر. اللهم سر وفي فيما أريد وأحاول واهدني
بنورك إلى الصراط المستقيم.